مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

الروايات الضعيفة والإسرائيلية في قصة آدم عليه السلام من خلال تفسير روح البيان

مُحَمَّدُ بْنُ مُرْضِي الْهُزَيِّلُ الشَّرَارِيُّ*

المستخلص:

إن تراث التفسير على اختلاف مناهجه وأساليبه، لا يسلم من أباطيل وخرافات ، فقد حوت بعض كتب التفسير كل عجيب وغريب من الروايات الإسرائيلية الدخيلة عليها، والتي تصرف الناس وتشغلهم عن التدبر في آيات القرآن، والانتفاع والاهتداء بعبره ومواعظه إلى أمور لا خير فيها، ومنها ما ورد في تفسير روح البيان، وقد تناولت بالتحديد ثمانية مواضع مما ورد في قصة آدم عليه السلام عند الشيخ إسماعيل حقي الذي اعتمد في نقولاته على بعض كبار الصوفية مما جعله يقع في أخطاء كبيرة .تَوَصَّلتُ فيها إِلَى أنه مهما تَقَوَّلَ الأفاكون فإن أمرهم مكشوف ومفضوح أمام الحق؛ لأن الله قيض لهذا القرآن من العلماء العالمين العاملين من يبين تفسيره الصحيح، ويرد على أيّ رواية ضعيفة أو مكذوبة، وهذا ما شُهد على مر العصور منذ نزول القرآن وحتى عصرنا هذا ، مما يدل على كمال حفظ الله تعالى لكتابه .وهذه الدراسة تهدف إلى إبراز الروايات الواردة في كتب التفسير –روح البيان نموذجًا– ودراستها وبيان الصحيح والسقيم لما لها من الأهمية والفائدة ما لدراسة التفسير نفسه، وذلك لتطهير التراث الإسلامي من الخرافات والأباطيل والأكاذيب التي علقت به أدخلها أعداء الإسلام فيه، وكان لهم النصيب الأوفر في وجودها في كتب التفسير.وقد اتبعت المنهج الاستقرائي والتحليلي للروايات وقارنت بينها.

ABSTRACT:

Our heritage of interpretation (Tafsiir), regardless of its different approaches and methods, is not free from falsehood and myths. Tafsiir's books contain many weird and strange narratives that are Israelite. As a result, these narrations distract people from contemplating the verses of the Qur'an, and benefiting from guidance and exhortations to searching for its wisdom and rulings that led into insignificant and useless matters such as what was mentioned in the interpretation of the statement spirit. , I specifically dealt with nine points regarding Adam' story- peace be upon him- according to Sheikh Ismail Haqi who relied on famous Sufi scholars for his quotes that he made big mistakes.I have concluded through this research to the conclusion that whatever the aphorisms say, their matter is uncovered and exposed in front of the truth because Allah (God) has supported this Qur'an through sincere and honest scholars who purify and clarify its right interpretation. These scholars could disprove any weak or false narration. This truth has been witnessed throughout the ages from the time of the Qur'an's revelation till this era. I also concluded that highlighting and studying the narratives have importance and usefulness in Tafsiir's books more than studying the interpretation itself in order to purify the Islamic heritage of myths, falsehood and lies that were attached by the enemies of Islam. These enemies had the largest share and role through attaching that falsehood in books of interpretation.the book of interpretation spirit had actually contained Israeli stories and falsehoods that are rationally unaccepted and not

* عُضْوُ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ بِكُلِّيَّةِ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ بِطَبَرْجَلَ – جَامِعَةِ الْجَوْفِ – الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

supported by narrators. For example, we could find that he had narrated many untrue hadiths and attributed them the prophet Mohammed -peace be upon him- even though they're not firm (steady).

الكلمات المفتاحية:

الاسرائيليات – هبوط آدم – خلق حواء

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أمَّا بعد،

فإن من فضل الله تعالى علينا أن قيض لهذه الأمة علماء أجلاء عالمين عاملين؛ اهتموا بعلوم القرآن فبينوا التفسير الصحيح لآياته، وردوا على الروايات الضعيفة أو المكذوبة، قاموا على مر العصور منذ نزول القرآن وحتى عصرنا هذا بالوقوف لكل من أراد تحريف كلام الله، فساروا على المنهج القويم، فألفوا الكتب والمؤلفات التي ميزوا فيها بين ما هو دخيل في كتاب الله وما هو أصيل، وحذروا المسلمين من خطورة هذه الأباطيل، حتى يُميز المسلم بين الصحيح والسقيم .

واستكمالاً لهذه الجهود، فقد وقع اختياري بأن يكون موضوع بحثي:" **الروايات الضعيفة والإسرائيلية في قصة آدم عليه السلام من خلال تفسير روح البيان** "

أهداف البحث

1- بيان مفهوم الروايات الإسرائيلية والدخيلة في التفسير.

2- إبراز ودراسة الروايات الواردة في قصة آدم عليه السلام من خلال كتاب روح البيان وتفنيد الروايات الإسرائيلية والضعيفة منها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وترجع أسباب اختياري لهذا الموضوع إلى أمور عدة منها :

أولاً: الحاجة الشديدة إلى مثل هذه الدراسة التي تَذُبُّ عن كتاب الله عز وجل وتمحو ما علق بتفسيره من الخرافات والأكاذيب .

ثانيـاً: محاولة تنقية التفاسير من الروايات الضعيفة والدخيلة ومما علق بها من خرافات وأباطيل.

ثالثًا: الذب عن علماء السلف من الصحابة والتابعين، فقد أسندت بعض الروايات الإسرائيلية المنكرة إلى نفر ممن عرفوا واشتهروا بالثقة والعدالة.

رابعًا: إن وجود هذه الروايات الدخيلة على تفسير كتاب الله عز وجل تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، وتشغلهم عن التدبر في آياته، والانتفاع والاهتداء بعبره ومواعظه.

إشكالية الدراسة :

ما أثر الروايات الضعيفة والإسرائيلية وما علق بها من أباطيل في تفسير روح البيان لقصة آدم عليه السلام؟

الدراسات السابقة :

من الدراسات التي دارت حول هذا الموضوع بشكل عام:

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد أبو شهبة.

الإسرائيليات في التفسير والحديث، د. محمد بن حسين الذهبي.

وهذان الكتابان يتكلمان عن الإسرائيليات في كتب التفسير بشكل عام أما دراستي فتتكلم عن الروايات الضعيفة والإسرائيلية في قصة آدم من خلال كتاب روح البيان.

ومن الدراسات التي تناولت منهج المؤلف بشكل خاص رسالة علمية بعنوان:

منهج البروسوي في تفسيره، لصفية بنت شمس الدين، وهي رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية.

وهذه الرسالة تكلمت عن منهج البروسوي بشكل عام أيضًا ولم تتناول الروايات التي بحثتها في قصة آدم من حيث الصحة والضعف ودراستها دراسة خاصة.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ إسماعيل حقي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته

هو: الشيخ الواعظ الصوفي إسماعيل حقي بن الشيخ مصطفى بن بيرام جاويش بن شاه بن حَذَايِنْده، الرومي[1] التركي الأصل، المستعرب [2]، الحنفي المذهب، الجلوتي الطريقة [3]، يكنى بأبي الفداء، ويلقب بحقي، وشهرته الشيخ إسماعيل حقي [4].

مولده :

ولد – رحمه الله – يوم الأحد غرة ذي القعدة سنة ثلاث وستين وألف من هجرة نبينا عليه الصلاة والسلام (1063 هـ) ، في بلدة أيدوس [5] وهي من أعمال الرُّوملي، وهي تتبع بلاد البلغار اليوم [6].

نشأته :

نشأ – رحمه الله – في أسرة عريقة في بيت من بيوت السادات، فتربى – رحمه الله – بين والديه، ونشأ في بيت أبيه وتلقى مبادئ العلوم في بلده [7]، علمه والده القراءة والكتابة والعلوم الأولية، وحبَّب إليه التصوف منذ نعومة أظفاره[8]،تعلم علوم العربية في صباه، وقرأ علم الصرف والنحو وحفظ الكافية والشافية[9].

المطلب الثاني: شيوخه

تتلمذ – رحمه الله – على عدد من أهل العلم في عصره، وقد اهتم والده بتعليمه وتوجيهه للعلم والتعلم، منذ صغره حيث حفظ القرآن صغيراً ونهل من معين كثير من العلماء في مختلف العلوم والفنون .

من هؤلاء الشيوخ :

1- الشيخ عثمان الفضلي، الشهير بآت بازاري.

2- الشيخ إبراهيم البرماوي، شيخ الجامع الأزهر، ينسب إلى برمة بكسر الباء في غربية مصر، توفي – رحمه الله – سنة 1106هـ[10].

([1]) البغدادي، إسماعيل باشا ابن محمد الأمين(1992م) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص43.دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها جماعة من المستشرقين: أعد النسخة العربية ، أ/ إبراهيم زكي خورشيد، أ/ أحمد الشنتاوي، د/ عبد الحميد يونس، ط2، ج3،دار الشعب، ص371.

([2]) الزركلي،خير الدين(1986م) الأعلام، ، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، لبنان، ص313 .

([3]) الشيخ إسماعيل حقي البروسوي(1985م) روح البيان، دار إحياء التراث العربي، ط7، بيروت، ص73.

([4]) دائرة المعارف الإسلامية،مرجع سابق، ص371. عمر كحالة(د.ت) معجم المؤلفين، مكتبة المتنبي ، بيروت، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص266.الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ص313. البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين(1992م) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص219.إلياس سركيس(د.ت) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، دار الكتب المصرية، ص441.

([5]) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مرجع سابق، ص226، دائرة المعارف الإسلامية ، مرجع سابق، ص371، الزركلي، الأعلام، مرجع سابق،ص313.

([6]) الكوثري، الشيخ محمد زاهد(1994م) مقالات الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ، ص548.

([7]) دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق،ص371، مقدمة روح البيان، ص45، مناهج المفسرين، للدكتور/ منيع عبد الحليم محمود، ص265.

([8]) مقدمة تفسير روح البيان، مرجع سابق، ص45.

([9]) الكافية والشافية (الكافية) كتاب في النحو، (الشافية) مختصر في الصرف، لابن الحاجب المتوفى سنة 646هـ.

([10]) ينظر ترجمته في الأعلام، الزركلي، ص67، الجبرتي،الشيخ عبد الرحمن(د.ت) تاريخ عجائب الآثار فى التراجم و الأخبار، ، طبعة دار الجيل ، بيروت، ص133، الياس سركيس، معجم المطبوعات، مرجع سابق، ص552، كحالة، معجم المؤلفين،

تلاميذه : ذكر الشيخ – رحمه الله– بعضًا من تلامذته في بعض كتبه، ومنهم:

1– أحمد وسيم السيد شافعي زادة الأسكوبي القاضي من شعراء القرن الثاني عشر .

2– الشيخ محمد عطائي المقيم برُوسْجَق من رجال الطريقة.

3– الشيخ محمد المدعو بآباق من مريدي الشيخ عين مدرساً بجامع السلطان سليم الأول.

4– الحاج خليل حلبي.

5– الحاج إسماعيل اللفكوي من رجال الجيش صاحبه في سفره من دمشق الشام إلى اسكدار باصطنبول أواخر شعبان سنة 1132هـ[11].

المطلب الثالث :آثاره ومصنفاته

له عدة مؤلفات منها :

1– تفسير روح البيان، وقد أمضى في تفسيره ثلاث وعشرين سنة

2– الرسالة الخليلية في التصوف

3– محمدية شرحي مؤلف باللغة التركية [12].

المطلب الرابع : عقيدته

أعتمد في نقولاته على كبار الصوفية مما جعله يقع في أخطاء عقدية كبيرة، كذلك وجد في تفسيره الحلولية، وهو مؤول للصفات [13].

المطلب الخامس : وفاتـــه

توفي – رحمه الله – في شهر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف من هجرة المصطفى عليه السلام (1137 هـ)[14].

المبحث الثانى : تعريف الدخيل والإسرائيليات في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: تعريف الدخيل في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف الدخيل في اللغة

قال صاحب لسان العرب : «فلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم» [15].

وجاء في المصباح المنير: «فلان دخيل بين القوم أي ليس من نسبهم بل هو نزيل عليهم، ومنه قيل: هذا الفرع دخيل – بمعنى أنه ذكر استطراداً ولا يشتمل عليه عقد الباب» [16].

و قال صاحب المفردات : «الدَّخَلُ طائر سمي بذلك لدخوله بين الأشجار الملتفة» [17].

وورد فى المعجم الوسيط: «الدخيل: من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم، والضيف لدخوله على المضيف، والدخل: الفساد والعيب والداء والريبة، والشجر الملتف والقوم الذين يدخلون في قوم وينتسبون إليهم وليسوا منهم» [18].

فيتضح مما سبق ذكره : أن معنى كلمة «الدخيل» فى اللغة: تدور حول أساس واحد هو العيب والفساد الداخلي نتيجة تسلل شيء خارجي ليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه.

ص58، إيضاح المكنون، البغدادي،ص136 – 176، البغدادي، هدية العارفين، ص36.

([11]) ترجمته في: رسالة مخطوطة بدار الكتب بعنوان : تحفة إسماعيلية لإسماعيل حقي، ورقة رقم: 208، تحت رقم 148، الفن: مجاميع تركي طلعت.

([12]) اسماعيل حقي، روح البيان، مرجع سابق، ص3.

([13]) الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي(2000م) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص1247.

([14]) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين، ص226، البغدادي، هدية العارفين، ص219، دائرة المعارف الإسلامية،ص371 ، مراجع سابقة.

([15]) ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت) لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، ج2، دار صادر بيروت، ص 1095.

([16]) الرافعي، أحمد بن محمد بن على المقري(د.ت) المصباح المنير، المكتبة العلمية ، بيروت، لبنان، ص190.

([17]) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم(1961م) المفردات، تحقيق: كيلاني، الطبعة الأخيرة ، مكتبة البابي، مصر ، ص166.

([18]) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، إخراج: أحمد بن حسن الزيات، طبعة مصر ، ص274، 275.

ثانيًا: تعريف الدخيل في الاصطلاح.

عرفه كثير من العلماء بتعاريف عدة وكلها ترجع في النهاية إلى معنى واحد أختار من بين هذه التعاريف ما ذكره أ.د/ إبراهيم خليفة فقال: «هو ما نقل من التفسير ولم يثبت نقله،أو ثبت ولكن على خلاف شرط القبول،أو ما كان من قبيل الرأي الفاسد» [19].

المطلب الثاني: تعريف الإسرائيليات

أولاً: تعريف الإسرائيليات في اللغة

عرّف الدكتور محمد الذهبي – رحمه الله – الروايات الإسرائيلية بقولة :

« لفظ الإسرائيليات، جمع مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى بني إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال بنو إسرائيل » [20].

ثانيًا: تعريف الإسرائيليات في الاصطلاح

المقصود من الإسرائيليات من حيث المعنى الاصطلاحي لم يتحدث عنه المتقدمين، وإنما تحدث عنه جملة من الباحثين المتأخرين والمعاصرين.

قال الدكتور محمد الذهبي – رحمه الله–: «ولفظ الإسرائيليات – وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية – يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبث نية، وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين، وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره؛ لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي ...» [21].

فكل ما فيه مبالغة وكذب ولو لم تكن عن مصادر إسرائيلية تروى عن اليهود فهو داخل في هذا التعريف؛ لأنه يحقق نفس الهدف من صد الناس عن التفسير الصحيح للقرآن، وإشغال عامة الناس بقصص أو روايات باطلة، ويجب علينا أن ننزه تفسير كلام الله عن مثل هذه الروايات الواهية التي فيها الإنشغال عن الهداية القرآنية والحكمة الربانية .

المبحث الثالث : الروايات الضعيفة والإسرائيلية في تفسير قصة آدم عليه السلام

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: ما ذكر بشأن خلقه – عليه السلام –

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[22]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[23]

عند تفسير الشيخ إسماعيل حقي – رحمه الله – لهاتين الآيتين ذكر روايات غريبة في خلق آدم – عليه السلام – فقال عند تفسير الآية الأولى: «قال وهب بن منبه: لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض إني جاعل منك خليفة فمنهم من يطيعني،... فلما أتاها جبريل

([19]) إبراهيم خليفة (د.ت) الدخيل في التفسير، د.ن، ص 40.

([20]) محمد حسين الذهبي(1990م) الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ص13، وينظر الإسرائيليات والموضوعات ، د: محمد أبو شهبة، ص11.

([21]) الإسرائيليات في التفسير والحديث، مرجع سابق، ص13، 14، 15.

([22]) سورة البقرة، الآية 30.

([23]) سورة الأنعام، الآية 2.

ليقبض منها قالت الأرض: بالله الذي أرسلك لا تأخذ مني شيئاً...، فرجع جبريل – عليه السلام – إلى مكانه ولم يأخذ منها شيئاً، فقال: يا رب حلَّفتنى الأرض باسمك العظيم فكرهت أن أقدم عليها. فأرسل الله ميكائيل – عليه السلام –، فلما انتهى إليها، قالت الأرض له كما قالت لجبريل....فأرسل الله إسرافيل – عليه السلام – وجاء ولم يأخذ منها شيئاً، وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل، فأرسل الله ملك الموت، ... فقال الله له: أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك؟ فقال: رأيت أمرك أوجب من قولها، فقال: أنت تصلح لقبض أرواح ولده، وفي الحديث القدسي:«خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً».....إلخ»[24].

وعند تفسيره للآية الثانية قال: روى عن أبى هريرة: «خلق الله آدم من تراب، وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمئاً مسنوناً – أي أسود متغيراً منتاً – ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً كالفخار »[25].

مناقشة ما ذكره من روايات:

بعد عرض هذه الروايات الطويلة التي ذكرها الشيخ إسماعيل حقي – رحمه الله– فيما يتعلق بخلق آدم – عليه السلام – أقول: إن ما ذكره الشيخ من الدخيل، وذلك لما يلي:

أولاً: إن القرآن الكريم جاء بين دفتيه كثيرٌ من قصص الأنبياء السابقين؛ ولكنه يقتصر في ذكر هذا القصص على مواضع العظة والعبرة مكتفياً من ذكر القصة بما يحقق الهداية للناس، ولذا لم يتعرض لتفصيل هذا القصص، رغم أن قصة آدم – عليه السلام – وخلقه ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع كما فى سورة البقرة والأعراف والإسراء وطه، كما ورد ذكر هذه القصة أيضاً في التوراة، بيد أن القرآن الكريم لم يتعرض لتفصيل هذه القصة وإنما اقتصر على مواضع العظة والعبرة منها، أمَّا التوراة فقد تعرضت لهذا التفصيل ببسط وإطناب[26].

فنحن نؤمن بما ورد في القرآن الكريم على ما أراده الله تعالى من خلق آدم – عليه السلام – بما يحقق لنا طريق الهداية، وأخذ العظة والعبرة من ذكر هذه القصة.

ثانيًا: أثنى الله تعالى على الملائكة في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[27]، وقال أيضاً: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[28]، فكيف يصح منهم عدم تنفيذ أوامره، بعد أن مدحهم وأثنى عليهم تبارك وتعالى فى كتابه الكريم؟

ثالثًا: إن ما أورده – رحمه الله – بهذه الرواية لم يرد به نص يعتمد عليه عن النبي عليه السلام يبين لنا صحة ما جاء بهذه الرواية، وهذا ما أيده وقرره العلماء والمفسرون، نذكر منهم الحافظ ابن كثير – رحمه الله– حيث قال بعد ذكره للروايات:

«فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم»[29].

و قال أيضاً: «وهذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها»[30].

رابعًا: إن الحديث القدسي الذي ذكره الشيخ في الرواية وهو قوله تعالى: «خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً» أخرجه ابن جرير الطبري في (تاريخ الأمم والملوك) حُدثنا عن الحسن بن بلال، حدثنا حماد بن

([24]) تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوى، مرجع سابق، ص98، 99، 100 .

([25]) المرجع السابق، ص4/3، 5.

([26]) الكتاب المقدس، العهد القديم: الإصحاح الثاني والثالث والرابع من سفر التكوين من 2 – 5.

([27]) سورة الأنبياء، الآية 26.

([28]) سورة التحريم،الآية6.

([29]) ابن كثير، اسماعيل (1996م) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: طه عبد الرءوف، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص120، 121.

([30]) المرجع السابق.

سلمة عن سليمان التميمي، عن النهدي، عن سلمان الفارسي[31].

فهذا الخبر لا يصح لأمرين:

الأول: أن هناك انقطاعاً[32] بين ابن جرير الطبري، والحسن بن بلال، فقال ابن جرير: حُدثنا عن الحسن بن بلال، فهناك رجل مبهم حدثه عن الحسن بن بلال.

الثاني: أن سلمان الفارسي قال: «خمر الله تعالى طينة آدم أربعين يوماً» من الذي خبَّر سلمان الفارسي بهذه المدة وبهذا الكلام؟ وهذا كلام لا يوحى إلاَّ لنبي.

كما ذكر الحديث الدارقطنى فى «العلل» قال: «يرويه سليمان التميمي عن أبي عثمان، عن سلمان، وابن مسعود موقوفاً وهو الصحيح، ومن رفعه فقد وهم»[33].

خامسًا: جاء فى تفسير الآية الثانية الخبر المروي عن أبي هريرة الذي قال فيه: «خلق الله آدم من تراب، وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمئاً ...» .

هذا الخبر أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة وهو جزء من قصة طويلة[34].

فهذا الخبر من الضعيف والدخيل؛ لأن في سنده «إسماعيل بن رافع» قال أحمد: ضعيف منكر الحديث، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال الخطيب وابن معين والعجلي وابن الجارود: ضعيف، وقال النسائي: متروك[35].

مع العلم بأن هذا الخبر لم يخالف القرآن الكريم وإنما هو ضعيف لضعف سنده، وشاهده من القرآن قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[36].

كما أورد هذا الخبر ابن كثير في «البداية والنهاية»، باب: الأحاديث الواردة في خلق آدم، ونسبه إلى أبي يعلى[37].

يتبين مما سبق أن ما ذكره الشيخ فيما سبق في هذه القصة لا يصح _مع وجود ما يوافقه في القرآن_ ، إلا أنه يجب علينا أن ننزه القرآن الكريم عن التفسير بمثل هذه الروايات الباطلة والواهية .

المطلب الثاني: ما قيل في الأسماء التى تعلمها آدم – عليه السلام –:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[38]

يقول الشيخ – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة: «فلما سواه، ونفخ فيه من روحه، علمه أسماء الأشياء كلها ....فعلمه جميع أسماء المسميات بكل اللغات بأن أراه الأجناس التي خلقها، وعلمه أن هذا اسمه فرس، وهذا اسمه بعير، وهذا اسمه كذا...

وفي الخبر: «لما خلق الله آدم بث فيه أسرار الأحرف ، ولم يبث في أحد من الملائكة فخرجت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها الله صوراً له، ومُثلت له بأنواع الأشكال».

وفي الخبر: «علمه سبعمائة ألف لغة، فلما وقع في أكل الشجرة سلب اللغات إلاَّ العربية...

قال بعض المفسرين: علَّم الله آدمَ ألف حرفة من المكاسب... وكان آدم حراثاً – أى زراعاً– ونوح نجاراً، وإدريس خياطاً، وصالح تاجراً ..... إلخ ما يتعلق

([31]) الطبري، ابن جرير (1979م) تاريخ الأمم والملوك، باب: القول في خلق آدم ﷺ، دار القلم، بيروت، ص47.

([32]) دليل الانقطاع: أن ابن جرير الطبري توفى سنة عشر وثلاثمائة ، الذهبي(1985م) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ج14،ص282.

([33]) الدارقطني، على بن عمر (2001هـ) العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تخريج د: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة الرياض، ص338.

([34]) أبو يعلي(1988م) مسند أبى يعلى الموصلي، حديث رقم 658، تحقيق وتعليق: إرشاد الحق الأثري، ج11، دار القبلة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ص453 – 455.

([35]) ابن حجر العسقلاني(1326هـ) تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ص295.

([36]) سورة ص، الآية71.

([37])ابن كثير، اسماعيل (1998م) البداية والنهاية، باب: الأحاديث الواردة في خلق آدم،ط5، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، ص88.

([38]) سورة البقرة،الآية31.

بـالمراد مـن الأسـماء التـي تعلمهـا آدم – عليـه السلام»[39].

مناقشة ما ذكره مما يتعلق بالأسماء التي تعلمها آدم عليه السلام:

بعد الذي ذكره – رحمه الله – فيما يتعلق بالأسماء التي تعلمها آدم – عليه السلام – أقول:

أولاً: إن كلمة «الأسماء» وردت في الآية مطلقة، دون تقييد بمعنى معين، فلماذا نشغل ونجهد العقل في معرفة هذه الأسماء مع أنه لا جدوى ولا فائدة تعود علينا من معرفتها.

ثانيًا: إن ما قاله الشيخ – رحمه الله – على وجه التحديد والتعيين في تحديد المراد من هذه الأسماء لم يرد به نص صريح يقوم دليلاً على ما ذكره، وهذا ما قرره العلماء – رحمهم الله –، نذكر منهم على سبيل المثال: أبوحيان [40]، والآلوسي[41].

ثالثًا: أمَّا الحديث الذي ذكره وهو «عمل الأبرار من الرجال الخياطة، وعمل الأبرار من النساء الغزل» فهو لا يصح؛ لأنه جاء من طريقين عن ابن عباس موقوفاً عليه، وعن سهل بن سعد مرفوعاً، مدارهما على سليمان بن عمرو، وأبي داود النخعي الكذاب، قال أحمد: كان يضع الحديث، وقال يحى بن معين: معروف بوضع الحديث، وقال البخاري: متروك رماه قتيبة، وإسحاق بالكذب، وقال يزيد بن هارون: لا يحل لأحد أن يروى عنه[42]، وقال الذهبي: قلت بعد ذكر الحديث: قبح الله من وضعه»[43]. وفي الطريق الذي رواه ابن عساكر «موسى بن إبراهيم أبو عمران المروزى» كذبه يحيى بن معين، والدارقطني، وقال الدارقطني: متروك، وقال العقيلي: منكر الحديث لا يتابع»[44].

كما أخرج ابن الجوزي – رحمه الله – هذا الحديث في كتابه: «الموضوعات» كتاب: البيوع والمعاملات، باب: الخياطة، من طريق أبي داود النخعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعاً، وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح وأبو داود النخعي اسمه سليمان بن عمرو كان كذاباً»[45]. والصحيح أنه علم آدم الأشياء ذواتها وصفاتها وأفعالها ، ولهذا قال الإمام البخاري في تفسير هذه الآية عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك يريحنا من مكاننا هذا" [46].

المطلب الثالث: ما ذكر في خلق حواء، وهل كانت قبل دخول الجنة؟

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[47].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[48]

عند تفسير للآية الأولى قال – رحمه الله –: «واختلفوا في خلقة حواء، هل كانت قبل دخول الجنة أو بعده؟ ويدل على الأول: ما روى عن ابن عباس – رضى الله

([39]) تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوى، مرجع سابق،ص100، 101.

([40]) محمد بن يوسف الغرناطي(1992م) البحر المحيط في التفسير، دار الفكر ، بيروت، ص235، 236.

([41]) الألوسي(د.ت) روح المعاني، ج1، 2، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ص 224.

([42]) الجرجاني(1984م) معجم الكامل في ضعفاء الرجال، ج3، دار الفكر، بيروت، ص245.

([43]) الذهبي، أبي عبد الله (1963م) ميزان الاعتدال، ت: على محمد البيجاوي، ج2، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص216، 217.

([44]) ابن حجر(1971م) لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، ط2، بيروت، لبنان، ص111، 112.

([45]) ابن الجوزي، أبو الفرج(1983م) الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، ج2، دار الفكر، بيروت، ص251، 252.

([46]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق،ص51 .

([47])سورة البقرة 35.

([48]) سورة النساء،الآية1.

عنهما – «أنه بعث الله جنداً من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من الذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ والزمرد وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى أدخلوهما الجنة».

ويدل على الثاني ما روى عن ابن مسعود :«أنه لما خلق الله الجنة، وأسكن فيها آدم بقي فيها وحده، فألقى الله عليه النوم، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من الجانب الأيسر، ووضع مكانه لحماً فخلق منه حواء ...»[49].

وعند تفسيره للآية الثانية قال – رحمه الله –: روى « أن الله تعالى لما خلق آدم – عليه السلام –، وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم ، فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من قصيراه ، فلما انتبه وجدها عنده، فمال إليها وألفها لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه..»[50].

مناقشة ما ذكره فيما يتعلق بخلق حواء:

أولاً: بعد الذي ذكره الشيخ –رحمه الله– فيما يتعلق بخلق حواء، وهل كانت قبل دخول؟

في البداية: ذكر الشيخ رأيين في خلق حواء ولم يرجح أحدهما على الآخر؛ ولكن الأرجح:إنها خلقت قبل دخول آدم الجنة لأن سياق الآية يشير إلى أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة بدليل أن الله –تبارك وتعالى – قدَّم كلمة «وزَوْجُكَ» على «الجنَّة»، ولأن الزوجة بمثابة السكن والاستقرار للزوج بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [51]وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [52]، والإنسان يأنس بزوجه وتكون سبباً في إزالة وحشته وغربته، والمولى تبارك وتعالى كان يعد سيدنا آدم – عليه السلام – لابتلاء وامتحان بدخوله الجنة التي فيها سيكون وحيداً.

لهذا قول: إن حواء خلقت قبل دخول الجنة لكي يأنس بها آدم – عليه السلام – وتكون سكناً له، وهذا ما أقره وأكده الألوسي – رحمه الله– حيث قال: «وقال كثيرون –ولعلي أقول بقولهم– إنها خلقت قبل الدخول ودخلا معاً، وظاهر الآية الكريمة يشير إليه، وإلاَّ توجه الأمر إلى معدوم، وإن كان في علمه تعالى موجوداً، وأيضاً في تقديم (زوجك) على (الجنة) نوع إشارة إليه ..»[53].

ثانيًا: أمَّا بالنسبة للخبر المروي عن ابن مسعود الذى جاء فيه «أنه لما خلق الله الجنة، وأسكن فيها آدم بقي فيها وحده ... الخ .

أخرج ابن أبي حاتم – رحمه الله – في تفسيره لسورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾[54]، حيث قال: حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدى قال: «أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة، فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟ فقالت امرأة، قال: ولم خلقت ؟ قالت: لتسكن إلي، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: ولم حواء؟ قال: إنها خلقت من شيء حي، فقال الله يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة»[55].

كما أخرج هذا الخبر ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره بنفس رواية ابن أبي حاتم[56].

كما أورده السيوطي – رحمه الله – في (الدر المنثور)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن عساكر[57].

([49]) إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ص106.

([50]) المرجع السابق،ص159.

([51]) سورة الأعراف، الآية 189.

([52]) سورة الروم، الآية21.

([53]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص 233 – 234.

([54]) سورة البقرة، الآية 35.

([55]) ابن أبي حاتم(1999م) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ و الصحابة و التابعين، تحقيق: أسعد الطيب، ط3، المكتبة العصرية، صيدا، ص85.

([56]) ابن جرير الطبري (د.ت) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر ، ص513.

يتبين مما سبق أن هذا الخبر دخيل ولا يصح؛ لأن في سنده: عمرو القناد.

قال أبو داود: « قال الساجي يتهم عثمان وعنده مناكير »[58].

كما أن في سنده: أسباط بن نصر.

«قال عنه أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعفه، وقال: أحاديثه عامة سقط مقلوب الأسانيد، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال الساجي في الضعفاء: روى أحاديث لا يتابع عليها، وقال البيهقي: منكر »[59].

المطلب الرابع: ما قيل بشأن الجنة التى سكنها آدم وزوجه

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[60].

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[61].

في تعيين الجنة والمراد منها ومكانها قال الشيخ إسماعيل حقي عند تفسيره للآية الأولى:

« هي دار الثواب بإجماع المفسرين خلافاً لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا: المراد بالجنة بستان كان في أرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحاناً لآدم وأوّلوا الهبوط بالانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُواْ مِصْرا﴾ [62] وفيه نظر؛ لأن الهبوط قد يستعار للانتقال إذا ظهر امتناع حقيقته واستبعادها وهناك ليس كذلك»[63].

وعند تفسيره للآية الثانية ذكر أقوالاً أيضاً في المراد من الجنة ومكانها فقال – أي فيها –: وهي إمَّا جنة الخلد التي جعلت داراً للجزاء وعليه أكثر أهل العلم .. أو جنة في السماء هبطا منها، أو جنة في الأرض كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ذات أشجار ... »[64].

مناقشة ما أورده في تعيينه المراد من الجنة التي سكنها آدم وزوجه

من العلماء من ذهب إلى أن الواجب التوقف عن تعيين هذه الجنة؛ لأنه لم يرد نص صريح أو خبر صحيح يقوم على هذا التفسير وأن هذه الأقوال التي ذكرها الشيخ يوجد بينها تعارض ولا يسلم واحد منها من التعقيب والرد عليه فلماذا نضيع الوقت فيما لا فائدة منه؛ بل الأولى هو التسليم بأن الله تعالى أسكن آدم وزوجه جنة لكي يتم فيها الابتلاء والاختبار والتكليف فيجب علينا التوقف عن تعيين المراد من هذه الجنة وعدم القول والإلزام بأنها جنة بعينها والأولى هو الوقوف على مواضع العظة والعبرة والحكمة من دخوله الجنة، وأن نترك لفظ «الجنة» على إطلاقه دون تحديد أو وصف.

يقول الرازي – رحمه الله – بعد أن ذكر الأقوال الثلاثة التى ذكرها الشيخ – رحمه الله – في المراد من هذه الجنة – قال –: «والقول الرابع: أن الكل ممكن والأدلة النقلية ضعيفة ومتعارضة فوجب التوقف وترك القطع والله أعلم»[65].

وقد وافقه في هذا الألوسي – رحمه الله –، فبعد أن أورد أقوالاً كثيرة وقام بتفنيدها والرد عليها قال: «وقيل: الكل ممكن والله تعالى على ما يشاء قدير، والأدلة متعارضة، فالأحوط والأسلم هو الكف عن تعيينها والقطع به وإليه مال صاحب التأويلات»[66].

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إلى أن الجنة التي أسكنها آدم وزوجته هي جنة الخلد، ونسب

([57]) السيوطي، جلال الدين(1983م) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ص127.

([58]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ص22، 23.

([59]) المرجع السابق، ص211، 212.

([60]) سورة البقرة، الآية 35.

([61]) سورة الأعراف، الآية 19.

([62]) سورة البقرة، الآية61.

([63]) الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، مرجع سابق، ص106.

([64]) المرجع السابق، ص144.

([65]) الرازي، محمد(1981م) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 2، ط4، دار الفكر، بيروت، ص544.

([66]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص 233.

هذا القول إلى سلف الأمة وأهل السنة والجماعة، واعترض على القول بأنها جنة في أرض الهند أو أرض جدة أو غير ذلك ..ووصفهم بالمتفلسفة والملحدين أو من المتكلمين...إلخ [67].

والراجح والله أعلم أن المراد بها جنة الخلد، لأنه وصفها بأوصاف لا تكون إلا فيها ومن هذه الأوصاف: عدم الظمأ والجوع وهذا لا يكون في الدنيا وإنما في جنة الخلد كما قال تعالى:﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (*) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[68]

كذلك لفظ" الجنة" عند الإطلاق يراد به جنة الخلد جعلنا الله ووالدينا من أهلها.

المطلب الخامس: ما قيل عن لباسهما في الجنة، وما ذكر في ورق الجنة

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[69]

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾[70]

يقول الشيخ إسماعيل حقي – رحمه الله – عند تفسيره للآية الأولى:

«وفي الأخبار أن غيرهما لم ير عورتهما، قيل: كان لباسهما في الجنة ظفراً في أشد اللطافة واللين، والبياض يكون حاجباً من النظر إلى أصل البدن، فلما أصابا الخطيئة نزع ذلك عن بدنهما وبقي عند رؤوس الأصابع تذكيراً لما فات من النعم وتجديداً للندم، وقيل: كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر إلى حد البدن، وقيل كان حُلة من حلل الجنة» هذا ما قاله الشيخ عن المراد بلباسهما في الجنة.

وعن المراد من ﴿ورق الجنة﴾ يقول الشيخ –رحمه الله: «قيل كان ذلك ورق التين، ولم يستره من الشجر إلاَّ شجر التين، فقال الله تعالى: كما سترت آدم أُخْرِج منك المعنى قبل الدعوى، وسائر الأشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى، فلهذه الحكمة يخرج ثمر سائر الأشجار في كمامها أولاً، ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانياً، وشجرة التين أول ما يبدو ثمره يبدو بارزاً من غير كمام».

وفي ختام تفسيره لهذه الآية الكريمة قال: «روي أن الله تعالى قال لآدم: ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال بلى وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً، قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلاَّ كداً فأهبط وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز»[71].

وعند تفسيره للآية الثانية قال الشيخ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾:« أي ليظهر لهما عوراتهما، وكانا قبل ذلك لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر...»[72].

([67]) ابن تيمية، أحمد(1426هـ) مجموع الفتاوى، تحقيق :الباز والجزار، دار الوفاء، ص347 .

([68]) سورة طه، الآية 118 – 119.

([69]) سورة الأعراف، الآية 22.

([70]) سورة الأعراف، الآية 27.

([71]) إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، مرجع سابق، ص145 – 146.

([72]) روح البيان، للشيخ إسماعيل حقي: 149/3. = وقد ذكر هذا الخبر ابن كثير في تفسيره فقال: «قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال:كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس ...الخبر إلخ» ثم قال: «وقد رواه ابن جرير، وابن مردويه من طرق عن الحسن بن كعب عن النبي مرفوعًا والموقوف أصح إسنادًا. = ينظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، المجلد الثاني: 245/3.كما أخرجه الحاكم في مستدركه موقوفاً على أُبي بن كعب، كتاب: التفسير من سورة البقرة: 288/2. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (د.ت) المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري، وبذيله: التلخيص، للحافظ الذهبي، إشراف د/ يوسف المرعشلي، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.

مناقشة ما أورده عن لباس آدم – عليه السلام – في الجنة وعن المراد بقوله: ﴿وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾

أولاً: إن الله ﷻ حذر بني آدم من إبليس وبين لهم مراراً وتكراراً عداوته القديمة لآدم – عليه السلام – عندما سعى لإخراجه من الجنة، وكان سبباً في كشف عورته ونزع اللباس عنه بعد أن كانت عورته مستورة، ولفظ اللباس الذي ورد في الآية جاء مطلقاً غير مقيد بنوع معين من أنواع اللباس، ولم يأت في القرآن الكريم ما يبين لنا نوع هذا اللباس وصفته ومَمَّ كان؟ فالأسلم والأحوط في هذا المقام أن نؤمن بأن الله ﷻ نزع اللباس عن آدم – عليه السلام – وزوجه عقاباً منه سبحانه على ما صدر منهما من مخالفة أمره ﷻ .

وهذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين، ومنهم الطبري – رحمه الله [73].

ثانيًا: إن لفظ اللباس ورد في الآية الكريمة على حقيقته ولم يأت ما يدل على ما يصرفه من الحقيقة إلى المجاز وهو أن يراد به النور، فلفظ اللباس يطلق على ما يُلبس من الثياب، وليس مجازاً عن النور، وهذا ما مال إليه الرازي – رحمه الله – حيث قال: « هذا القول[74] أقرب، لأن إطلاق اللباس يقتضيه»[75]. والرأى القائل بأن المراد من اللباس هو النور مروي عن وهب بن منبه، ومن المعلوم أنه كان كثير النقل عن أهل الكتاب.

ثالثًا: أمَّا الخبران المرويان في تفسير الآية الأولى والثانية فهما من الدخيل، وقد أخرج هذين الخبرين الطبري – رحمه الله – في تفسيره فقال: «حدثنا القاسم، ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي بكر، عن الحسن، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان آدم كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس .. الخ الخبر»[76].

كما أورد هذين الخبرين الثعالبي – رحمه الله – في تفسيره ولكن أوردهما في خبر واحد قائلاً: «وروى أبيّ عن النبى ﷺ أن آدم – عليه السلام – كان يمشي في الجنة كأنه النخلة السحوق، فلما أكل من الشجرة وبدت له حاله...إلخ»[77].

والعلة في أن هذين الخبرين من الدخيل أن في سندهما «الحسين» وهو سنيد بن داود المصيصى أبو على المحتسب، واسمه الحسين ولقبه سنيد، روى عن يوسف بن محمد بن المنكدر، وسفيان، وعنه الحسن بن محمد الزعفراني، وأبو زرعة.

قال ابن أبي حاتم عن أبيه: ضعيف، وقال النسائي: ليس بثقة [78]، وفي التقريب: ضعيف مع أمانته ومعرفته لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه، من العاشرة»[79].

كما أن في سنده «حجاج» المصيصى، ترمذي الأصل، سكن بغداد ثم تحول إلى مصيصة ، قال علي بن المديني والنسائي: ثقة، وقال ابن سعد: تحول إلى المصيصية ثم قدم بغداد في حاجة له فمات بها، سنة 2006هـ وكان ثقة صدوقاً، وكان تغير في آخر عمره حين رجع إلى بغداد، وقد وثقه مسلم والعجلي[80]، وفي

وأخرجه عبد الرازق، أبو بكر (1983م)المصنف ، كتاب: الجنائز، باب: غسل الميت: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المصنف، للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني، ج3، ط2، المكتب الإسلامي، ص400.

([73]) الطبري، جامع البيان، ص375، 376.

([74]) المراد بهذا القول: هو حمل اللباس على حقيقته وما يلبس من الثياب.

([75]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص58.

([76]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ص351.

([77]) الثعالبي(د.ت) تفسير الثعالبي، الموسوم بجواهر الحسان فى تفسير القرآن،ج2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص10.

([78]) ابن حجر، تهذيب التهذيب ،مرجع سابق، ص244، 245.

([79]) المرجع السابق، ص235.

([80]) ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ص205– 206.

التقريب: ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره[81]، من التاسعة»[82].

إذًا فقد ثبت لنا أن هذا الخبر من الدخيل لعلل ثلاثة في سنده:

الأولى: «الحسين» ضعيف وليس بثقة.

الثانية: «حجاج» ثقة ثبت ولكنه اختلط في آخر عمره.

الثالثة: «الحسن البصرى» روى عن أبيّ ولم يدركه فبينهما انقطاع ؛ لأن الحسن لم يسمع من أبيّ بن كعب.

كما ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – الحديث الذي أورده ابن جرير الطبري عن أبيّ بن كعب ثم عقب عليه بقوله: «وهذا منقطع بين الحسن وأبيّ بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضاً»[83].

المطلب السادس: ما يتعلق بهبوط آدم – عليه السلام – ومن معه إلى الأرض

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[84].

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾[85].

﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ [86].

عند تفسير الشيخ إسماعيل حقي – رحمه الله – لهذه الآيات الكريمات أورد روايات غريبة عند هبوط آدم – عليه السلام – إلى الأرض.

فقال عند تفسيره للآية الأولى:

«ولما هبطوا وقع آدم بأرض الهند على جبل «سرنديب»، ولذلك طابت رائحة تلك الأودية لما معه من ريح الجنة .. ووقعت حواء «بجُدَّة» وبينهما سبعمائة فرسخ، والطاووس «بمرج الهند»، والحية «بسجستان»و «بأصفهان»، وإبليس بسد «يأجوج ومأجوج»..»[87].

وقال في نهاية تفسيره للآية الثانية:

«كما قيل أنه لما هبط آدم – عليه السلام – إلى الأرض جاءت وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره، فيدعو لكل جنس بما يليق به، فجاءت طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح فظهر فيهن نوافج المسك...»[88].

وعند تفسيره للآية الثالثة قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾[89]:

«وحكى المسعودي: أن آدم – عليه السلام – لما هبط من الجنة خرج ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر فيها منها عشرة لها قشرة: الجوز واللوز والفستق والبندق والشاه بلوط والصنوبر والرمان والنارنج والموز والخشخاش، ومنها عشرة لا قشر لها ...»[90].

مناقشة ما يتعلق بهبوط آدم – عليه السلام – ومن معه إلى الأرض:

أولاً: فيما يتعلق بتفسيره للآية الأولى: إن كل ما ورد في هبوط آدم وحواء ومن معهما، وتعيين أماكن هبوطهما هو من الدخيل الذى لا صحة له ولا دليل عليه، فكل هذه الأقوال لا أساس لها، لأن القرآن الكريم لم يفصح ولم يبين لنا من قريب أو بعيد هذا التعيين، ولو كان في تعيين تلك الأماكن والبقاع فائدة تهم المسلمين وتعود على المكلفين بجدوى لما أخفاها الله تعالى في كتابه الكريم، بل لذكرها على الفور في كتابه الكريم، أو وردت في ثنايا السُّنَّة النبوية المطهرة.

([81]) اختلط في آخر عمره: أي اختل ضبطُه آخر عمره .= ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر: 4/1.

([82]) ابن حجر، تقريب التهذيب، مرجع سابق، ص154.

([83]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص197.

([84]) سورة البقرة، الآية 36.

([85]) سورة الأعراف، الآية 147.

([86]) سورة الرعد، الآية 4.

([87]) إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، مرجع سابق، ص111، 112.

([88]) المرجع السابق، ص241، 242.

([89]) سورة الرعد، الآية 4.

([90]) تفسير روح البيان، مرجع سابق، ص341.

ثانيًا: إن ما ذكره الشيخ – رحمه الله – من هبوط آدم بسرنديب، وحواء بجدة، والطاووس بمرج الهند، والحية بسجستان أو بأصفهان، وإبليس بسد يأجوج ومأجوج، ليس أمراً يقينياً قطعياً مسلماً به، فقد تباينت الآراء واختلفت الروايات حول هبوط كل منهم.

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: «وقال السدي: قال الله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعًا﴾[91] فهبطوا ونزل آدم بالهند، ونزل معه الحجر الأسود... » الخ كلامه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جريرعن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال: أهبط آدم – عليه السلام – إلى أرض يقال لها دحنا بين مكة والطائف. وعن الحسن البصري قال: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان»...»[92].

وقال الشوكاني – رحمه الله –: وأخرج ابن عساكر قال: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة»[93].

من خلال تلك الروايات نجد أنه يوجد تعارض كثير بين تلك الروايات، فتارة تذكر هذه الروايات هبوط آدم بالهند، وتارة بالصفا، كما تذكر الروايات هبوط حواء بجدة تارة، وبالمروة تارة أخرى. أمَّا الحية فتارة بأصبهان وتارة أخرى بسجستان، وأمَّا إبليس فتارة بدستميسان من البصرة على أميال، وتارة بسد يأجوج ومأجوج... وهذا يؤكد لنا عدم الاطمئنان والثقة فى أي رواية من هذه الروايات، حيث يفتقد كل منها إلى دليل صحته، وقد رد ابن كثير – رحمه الله – على من ذكر تلك الروايات من المفسرين فقال: «وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم، لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله عليه السلام »[94].

ثالثًا: أمَّا فيما يتعلق بتفسيره للآية الثانية، وذلك عند هبوط آدم إلى الأرض ومجيء وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فيدعو لكل جنس بما يليق به.

وفيما يتعلق بتفسيره للآية الثالثة وما حكاه عن المسعودي: أن آدم لما هبط من الجنة خرج ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر فيها... أقول:

إن وقوع مثل هذه الأمور قد يكون جائزاً عقلاً، ولكن لم يرد فيها نص صريح من كتاب أو سنة، لذلك فالأولى التوقف فيها وعدم الحكم بقبولها أو ردّها، بل نَكِلُ علمها إلى الله ولا نشتغل بها، لأن مثل هذه الأمور مما لا تعود على المسلم بفائدة في دينه أو دنياه.

المطلب السابع: ما ذكر بشأن الكلمات التي تلقاها آدم – عليه السلام – من ربه

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[95]

يقول الشيخ إسماعيل حقي – رحمه الله – في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: ومعنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها.

فإن قلت ما هن؟ قلت: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾[96].

وعن ابن مسعود (إن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قال أبونا آدم حين اقترف الخطيئة: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلاَّ أنت ..).

وعن النبي ﷺ: (إن آدم قال: بحق محمد أن تغفر لي ..).

أو الكلمات هي قول آدم عند هبوطه من الجنة: يا رب ألم تخلقني بيدك من غير واسطة؟ قال: بلى، قال يا رب ألم تسكنِّي جنتك ؟ قال: بلى، قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: يا رب أرأيت إن

([91])سورة البقرة،الآية 38.

([92]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق، ص125

([93]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص245.

([94]) الشوكاني، محمد بن علي(د.ت) فتح القدير، دار الخير، ص76.

([95])سورة البقرة،الآية 37.

([96])سورة الأعراف،الآية 23.

أصلحت ورجعت وتبت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم، والكلمات هي العهود الإنسانية والمواثيق الآدمية والمناجاة الربانية ..»[97].

مناقشة الكلمات التي تلقاها آدم – عليه السلام – من ربه

هذه أقوال أربعة فيما تلقاه آدم من ربه من كلمات، وبعد هذه الأقوال الأربعة التي ذكرها الشيخ أقول:

أولاً: ليت الشيخ – رحمه الله – اقتصر في تفسيره لتلك الكلمات التي تلقاها آدم من ربه على القول الأول الذي يفسر تلك الكلمات بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾[98]؛ لأنه من المعروف والمقرر عند علماء التفسير أن أول مصادر التفسير هو تفسير القرآن ، ولو قمنا بتطبيق هذا الكلام على الآية الكريمة التي معنا فإننا سنجد هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه جاءت في سورة البقرة غير مبينة ثم جاءت ووردت في سورة الأعراف مفسرة.

ثانيًا: هذه الأقوال التي ذكرها الشيخ عند تفسيره للآية ذكرها كثير من المفسرين مع أقوال أخرى زائدة عنها ولكن غالب هذه الأقوال من أقوال الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – والمرفوع منها إلى رسول الله عليه السلام ضعيف.

يقول السيوطي – رحمه الله –: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي؟ فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك. لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله إليه: يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك، ولولا هو ما خلقتك»[99].

وقد ذكر شبيه هذا الحديث الحاكم في مستدركه، وبعد ذكره لهذا الحديث قال: «الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الباب.

وقال الذهبي: بل موضوع، وعبد الرحمن واه، رواه عبد الله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا أعن إسماعيل بن مسلمة عنه»[100].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية أيضاً روايات كثيرة نذكر منها «وقال السدي عمن حدثه عن ابن عباس ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قال: قال آدم – عليه السلام – يا رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال: بلى، ونفخت فيّ من روحك ؟ قيل له بلى، قال: أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال: نعم».

.. ثم قال ابن كثير: «وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً شبيهاً بهذا فقال: حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب، حدثنا ابن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «قال آدم – عليه السلام –: أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال: نعم، فذلك قوله ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[101]» ثم قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: وهذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع إذ الحسن لم يدرك أبيّ بن كعب »[102].

ثالثاً: أقرب هذه الأقوال وأولاها بالقبول هو أن تفسر هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه بالكلمات التي وردت في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾[103] وهذا القول هو قول كثير من المفسرين.

([97]) إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، مرجع سابق، ص113.

([98]) سورة الأعراف،الآية 23.

([99]) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مرجع سابق، ص141.

([100]) النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، ص615.

([101]) سورة البقرة،الآية 37.

([102]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق، ص126، 127.

([103]) سورة الأعراف،الآية 23.

يقول ابن جرير الطبري – رحمه الله – بعدما نقل أقوالاً كثيرة في المراد من تلك الكلمات: «والذي يدلّ عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه هنّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلاً بقيلها إلى ربه معترفا بذنبه، وهو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾[104] وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قوله، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها فيجوز لنا إضافته إلى آدم – عليه السلام –، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه»[105].

ويقول الدكتور أبو شهبة – رحمه الله –: والصحيح في الكلمات هو ما روى عن طرق عدة: أنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ [106].

فالنقل الصحيح والتفسير الصحيح الذي لا يصطدم مع الكتاب والسنة هو ما ذكره علماؤنا من تفسير هذه الكلمات بالآية الواردة في سورة الأعراف لأنه تفسير قرآن بقرآن كما قلت سابقاً وهو أول المصادر في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الثامن: ما نسب لآدم – عليه السلام – من قول الشعر عندما قتل أحد ابنيه الآخر

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [107].

يقول الشيخ إسماعيل حقي – رحمه الله – في نهاية تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«قال مقاتل : كان قبل ذلك يستأنس بالسباع والطيور والوحوش، فلما قتل قابيل هابيل نفروا، فلحقت الطيور بالهواء، والوحوش بالبرية، .. فقال آدم قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند، فإذا قابيل قد قتل هابيل...ومكث آدم حزيناً على قتل ولده مائة سنة لا يضحك وأنشأ يقول، وهو أول من قال الشعر:

تغيرت البلاد ومن عليها

فوجه الأرض مغبر قبيح

**

تغير كل ذي لون وطعم

وقلّ بشاشة الوجه الصبيح

وعن ابن عباس –رضى الله عنهما– من قال إن آدم قال شعراً فقد كذب، إن محمداً والأنبياء كلهم في النهى عن الشعر سواء، ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني... وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم إلى المؤخر، والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعراً وزيد فيه أبيات منها:

ومالي لا أجود بسكب دمع

وهابيل تضمنه الضريح

**

أرى طول الحياة عليّ نقما

فهل أنا من حياتي مستريح »[108]

مناقشة نسبة قول الشعر إلى آدم – عليه السلام – عند قتل أحد ابنيه الآخر

أولاً: إن الذي أورده الشيخ – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية الكريمة غير صحيح، وغير مسلّم به، لأن نسبة الشعر إلى الأنبياء أمر لا يرتضيه العلماء كما أن القرآن الكريم ورد في نصوصه نفى الشعر عن النبي ﷺ، وعدم نسبته إليه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾[109] فقد نفى المولى – تبارك وتعالى– عن نبيه – عليه السلام – الشعر؛ لأنه لا ينبغي له أن يقول شعراً، وجعل الله ﷻ ذلك علماً من أعلام نبيه – عليه السلام –، وذلك لعدم دخول الشبهة على من أرسل إليه، وإذا كان هذا هو حال رسولنا ﷺ؛ فإن الأنبياء

([104]) سورة الأعراف،الآية 23.

([105]) الطبري، جامع البيان ، مرجع سابق، ص546.

([106]) محمد أبو شهبة(1408هـ) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط4، مكتبة السنّة، ص181.

([107]) سورة المائدة، الآية 31.

([108]) إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، مرجع سابق، ص381، 382.

([109]) سورة يس،الآية 69.

جميعاً مشتركون في مثل هذه الخصائص التي هي إحدى خصائص خاتمهم سيدنا محمد عليه السلام .

ثانيًا: إن هذا الشعر الذي ذكره الشيخ – رحمه الله – يبدو عليه أثر الصنعة والاختلاق؛ لأن الأنبياء سواء في نفي الشعر عنهم، فهو شعر في غاية الركاكة، ثم هل كانت توجد هناك بلاد يومئذٍ حتى تتغير هذه البلاد ومن عليها؟ فإذا كان الجواب بالنفي –وهذا أمر قطعي ويقيني– فكيف يقال بنسبة هذا الشعر لآدم – عليه السلام – فما أظن إلاَّ أن هذا الشعر موضوع ومصطنع وليس بمعقول أن ينسب إلى آدم – عليه السلام –.

ثالثًا: أن العلماء جميعاً وخاصة المفسرين قاموا بالتعقيب على هذا الشعر، وبتفنيده وفطنوا وأيقنوا عدم صحة نسبة ذلك الشعر إلى آدم – عليه السلام – وممن قام بتفنيد هذا الشعر والاعتراض عليه صاحب الكشاف حيث قال: «ويروى: أنه – أي سيدنا آدم – رثاه – أي ابنه هابيل – بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلاَّ منحول ملحون، وقد صح أن الأنبياء –عليهم السلام – معصومون من الشعر»[110].

وقد وافقه الفخر الرازى – رحمه الله – حيث قال مؤيداً ما قاله الزمخشري : «وصدق صاحب الكشاف فيما قال، فإن ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب إلى من جعل الله علمه حجة على الملائكة»[111].

وبنحوه قال الآلوسي – رحمه الله [112].

كما علق الدكتور/ أبو شهبة على هذا الشعر بقوله : «والحق أنه شعر في غاية الركاكة، والأشبه أن يكون هذا الشعر من اختلاق إسرائيلي، ليس له من العربية إلاَّ حظ قليل، أو قصاص يريد أن يستولي على قول النَّاس بمثل هذا الهراء»[113].

وقد نبَّه إلى عدم صحة نسبة هذه الأشعار إلى نبي الله آدم كلٌ من الحافظ ابن حجر والحافظ والذهبي، حيث ذكرا: أن الآفة فيه من المخزومي أو شيخه[114].

رابعًا: إن أئمة الحديث وأهله قاموا بالطعن في نسبة هذه الأشعار إلى آدم – عليه السلام – ومنهم:

الحافظ ابن كثير [115]، والذهبي [116].

من كل ما تقدم يتضح لنا أن ما ذكره الشيخ – رحمه الله – من نسبة هذا الشعر إلى آدم – عليه السلام – غير صحيح وباطل، وأنه مأخوذ عن أهل الكتاب.

الخاتمة

إن تراثنا في التفسير على اختلاف مناهجه وأساليبه، لا يسلم من أباطيل وخرافات فقد حوت العديد من كتب التفسير كل عجيب وغريب من الروايات الإسرائلية الدخيلة عليها على تفاوت في ذلك قلة وكثرة.

النتائج

ومن خلال دراستي لهذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

أولاً: من خلال البحث تبين أنه مهما تَقَوَّلَ الأفاكون فإن أمرهم مكشوف ومفضوح أمام الحق؛ لأن الله قيض لهذا القرآن من العلماء العالمين العاملين من يبين تفسيره الصحيح، ويرد على أيّ رواية ضعيفة أو مكذوبة، وهذا ما شُهد على مر العصور منذ نزول القرآن وحتى عصرنا هذا ، مما يدل على كمال حفظ الله تعالى لكتابه.

([110]) الزمخشري، ابو القاسم (د.ت) تفسير الكشاف، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى ، مكتبة الحلبي، مصر، ص8.

([111]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص214.

([112]) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص115.

([113]) محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، مرجع سابق، ص184.

([114]) ابن حجر، لسان الميزان،ص298، 299، الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مرجع سابق، ص154، 155.

([115]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق، ص56.

([116]) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مرجع سابق، ص154، 155.

ثانيًا: إن إبراز ودراسة الدخيل الوارد في كتب التفسير له من الأهمية والفائدة ما لدراسة التفسير نفسه، وذلك لتطهير التراث الإسلامي من الخرافات والأباطيل والأكاذيب التي علقت به أدخلها أعداء الإسلام فيه الذين كان لهم النصيب الأوفر في وجود هذا الدخيل في كتب التفسير .

ثالثاً: إن ما فيه مبالغة وكذب ولو لم تكن عن مصادر إسرائيلية تروى عن اليهود فهو داخل في تعريف الإسرائيليات؛ لأنه يحقق نفس الهدف من صد الناس عن التفسير الصحيح للقرآن، وإشغال عامة الناس بقصص أو روايات باطلة؛ وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره.

رابعــاً: إن تفسير روح البيان قد وجد فيه قصص إسرائيلية، وأباطيل لا يقبلها عقل، ولا يؤيدها نقل، فنجد على سبيل المثال أنه – رحمه الله – قد أورد كثيراً من الأحاديث غير الصحيحة وأسندها إلى النبي ﷺ مع أنها غير ثابتة عنه ﷺ .

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1. البغدادي، إسماعيل باشا ابن محمد الأمين(1992م) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.
2. دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها جماعة من المستشرقين: أعد النسخة العربية ، أ/ إبراهيم زكي خورشيد، أ/ أحمد الشنتاوي، د/ عبد الحميد يونس، ط2، ج3، دار الشعب.
3. الزركلي، خير الدين(1986م) الأعلام، ، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، لبنان.
4. الشيخ إسماعيل حقي البروسوي(1985م) روح البيان، ط7، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
5. عمر كحالة(د.ت) معجم المؤلفين، مكتبة المتنبي ، بيروت، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
6. البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين(1992م) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
7. إلياس سركيس(د.ت) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، دار الكتب المصرية.
8. الكوثري،الشيخ محمد زاهد(1994م) مقالات الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث .
9. الجبرتي،الشيخ عبد الرحمن(د.ت) تاريخ عجائب الآثار فى التراجم و الأخبار، ، طبعة دار الجيل ، بيروت، بدار الكتب بعنوان : تحفة إسماعيلية لإسماعيل حقي(رسالة مخطوطة)، ورقة رقم: 208، تحت رقم 148، الفن: مجاميع تركي طلعت، دار الكتب
10. الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي(2000م) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
11. ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت) لسان العرب، إعداد وتصنيف/ يوسف خياط، ج2، دار صادر بيروت.
12. الرافعي، أحمد بن محمد بن على المقري(د.ت) المصباح المنير ، المكتبة العلمية ، بيروت، لبنان.
13. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم(1961م) المفردات، تحقيق: كيلاني، الطبعة الأخيرة ، مكتبة البابي، مصر.
14. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، إخراج: أحمد بن حسن الزيات،طبعة مصر.
15. إبراهيم خليفة (د.ت) الدخيل في التفسير، د.ن.
16. محمد حسين الذهبي(1990م) الإسرائيليات في التفسير والحديث، ط4، مكتبة وهبة.
17. محمد أبو شهبة(1408هـ) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط4، مكتبة السنّة
18. الكتاب المقدس(2005م)الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، ط3، مصر.
19. ابن كثير، اسماعيل (1996م) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: طه عبد الرءوف ، مكتبة الإيمان ، المنصورة.
20. الطبري، ابن جرير (1979م) تاريخ الأمم والملوك، باب: القول في خلق آدم عليه السلام، دار القلم، بيروت.

21. الذهبي(1985م) سير أعلام النبلاء، ط3، ج14، مؤسسة الرسالة، بيروت.
22. الدارقطني، على بن عمر (2001هـ) العلل الواردة في الأحاديث النبوية،تخريج د: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة الرياض.
23. أبو يعلي(1988م) مسند أبى يعلى الموصلي، تحقيق وتعليق: إرشاد الحق الأثري، ج11، دار القبلة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
24. ابن حجر العسقلاني(1326هـ) تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت.
25. ابن كثير، اسماعيل (1998م) البداية والنهاية، باب: الأحاديث الواردة في خلق آدم،ط5، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث.
26. محمد بن يوسف الغرناطي(1992م) البحر المحيط في التفسير، دار الفكر ، بيروت.
27. الألوسي(د.ت) روح المعاني، ج1، 2، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
28. الجرجاني(1984م) معجم الكامل في ضعفاء الرجال، ج3، دار الفكر، بيروت.
29. الذهبي، أبي عبد الله (1963م) ميزان الاعتدال، ت: على محمد البيجاوي، ج2، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
30. ابن حجر (1971م) لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، ط2، بيروت، لبنان.
31. ابن الجوزي، أبو الفرج(1983م) الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، ج2، دار الفكر، بيروت.
32. ابن أبي حاتم(1999م) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ و الصحابة و التابعين، تحقيق: أسعد الطيب، ط3، المكتبة العصرية، صيدا.
33. ابن جرير الطبري (د.ت) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.
34. السيوطي، جلال الدين(1983م) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.
35. الرازي، محمد(1981م) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 2، ط4، دار الفكر، بيروت.
36. ابن تيمية، أحمد(1426هـ) مجموع الفتاوى، تحقيق :الباز والجزار،دار الوفاء.
37. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (د.ت) المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري، وبذيله: التلخيص، للحافظ الذهبي، إشراف د/ يوسف المرعشلي، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.
38. عبد الرازق، أبو بكر (1983م)المصنف ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المصنف، ج3، ط2، المكتب الإسلامي.
39. الثعالبي(د.ت) تفسير الثعالبي، الموسوم بجواهر الحسان فى تفسير القرآن،ج2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
40. الزمخشري، ابو القاسم (د.ت) تفسير الكشاف، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى ، مكتبة الحلبي، مصر.